سينما

«برونكس» للفرنسيّ أوليفييه مارشال

حِرفية سينمائية معطلة وتمثيل رتيب

يُشارك الفرنسي جان رونو في «برونكس» لأوليفييه مارشال، مؤدّيا دور ضابط كبير في الشرطة القضائية يتورّط في أعمال فاسدة مع مافيات مارسيليا

نديم جرجوره

جديدُ الممثل الفرنسي جان رونو (1948) دورٌ رتيبٌ وباهت، في فيلم فرنسيّ بعنوان «برونكس» (2020، يُعرض على شاشة المنصّة الأميركية «نتفليكس» منذ 30 أكتوبر/تشرين الأول 2020)، تجري أحداثه في مارسيليا. مخرج الفيلم أوليفييه مارشال (1958)، ممثّل وسيناريست أيضاً. يختار جنوب فرنسا لسرد حكاية مُكرَّرة في السينما الغربيّة، تقول بتحالفٍ بين رجال شرطة ومحقّقين مختلفين، وعصابات مختصّة بتجارة المخدّرات والسرقات وغيرها. أفلامٌ سابقة له تؤكّد «اختصاصه» في عالمي الشرطة والأجهزة البوليسية والعصابات. مارسيليا نفسها تحضر أيضاً، كما في MR 73 (أحد أنواع المسدسات المصنوعة في فرنسا)، المُنجَز عام 2008. أول روائي قصير له كمخرج يحمل عنواناً يشي بهذا المسار: «شرطيّ صالح» (1999)، بينما أول روائي طويل له ينتقل إلى الضفّة الأخرى من المواجهة والتحالفات: «رجال العصابات» (2002).

«برونكس» يتابع إنجاز أفلام منتمية إلى نمطٍ واحد: صراع دموي بين عصابات ورجال أمن وتحقيقات، أو في عالم العصابات تحديداً. الفساد ينخر أجهزة الشرطة والأمن، والابتزاز حاصل بقوّة. تحقيقات تهدف إلى تنظيف «البيت الداخلي»، وشرفاء قليلون يحاولون إنقاذ زملاء لهم تعطبهم العصابات، تهديداً أو توافقاً. معظم رجال الشرطة الفاسدين يبدأون «تعاونهم» بعد مرور نحو 20 عاماً (أو أكثر بقليل) على وظيفةٍ، غير مُنتجةٍ أموالاً يحصلون عليها بكثرة وسرعة من عصابات، تريد مساحات آمنة لها ولأعمالها الوفيرة. أحياناً، «يختفي» عمل شرفاء، وأحياناً أخرى لن تكون مُهمّةً الإشارةُ إلى سنين الخدمة، فالراهن أساسيّ، والمصالح مشتركة، وأسباب «التعاون» عديدة.

في «برونكس»، يؤدّي جان رونو دور المدير الإقليمي للشرطة القضائية، آنج ليونيتّي، المنتقل إلى مارسيليا لإدارة أزمة في أقسام الشرطة، المختصّة بمطاردة العصابات ومكافحة المخدّرات تحديداً. حضوره يقتصر على مشاهد أقلّ من غيرها، في فيلم تبلغ مدّته 116 دقيقة. البطولة لآخرين، أمثال لائيك غوتري وستانيسلاس مِرار وموسى مسكري وباتريك كاتاليفو وغيرهم. هؤلاء مسؤولون في تلك الأقسام، يتنازعون فيما بينهم لأسباب مهنية، ولارتباطاتٍ مشبوهة تنكشف تدريجياً، تماماً كانكشاف تورّط ليونيتّي مع إحدى العائلات المافياوية المتصارعة في مارسيليا.

> اكتفاء بالوظيفة من دون اهتمامٍ بالأداء وفنّ التمثيل

لا جديد يُذكر في جديد الثنائي أوليفييه مارشال وجان رونو. «برونكس» فيلمٌ بوليسيّ يلتزم قواعد هذا النوع السينمائي، ويُصنع بمهنيّة واحترافٍ عاديين. نسج الحكاية عاديٌّ بدوره، وتداخل الذاتيّ (الحياة اليومية والعلاقات العاطفية والعائلية والزوجية للشخصيات الأساسية) بالمهنيّ غير نافر، لأنّه مشغولٌ برويّة وبساطة، ومن دون فذلكةٍ متصنّعة، أو اهتمامٍ أكبر بجانب من دون الآخر. أدوارٌ واقعيّة، وحواراتٌ متداولة بكثرة، ونزاعات عامّة تحصل، وصدامات عائلية معروفة، والتوقّعات سهلة. الانهيار النفسيّ لبعض رجال الأمن غير أساسيّ في النصّ، وإنْ يكن حضوره مطلوباً، فهذا يحدث في مهنٍ كثيرة، بينها مهنة محقّقين أو عملاء أمن وشرطة أو عاملين في أجهزة مكافحة المخدّرات مثلاً.

أما الأداء فمنسجمٌ، ومفردات النوع البوليسي التشويقيّ، الذي يُقدّم مَشاهد مطاردات وعنف وإطلاق رصاص، تكون ضرورية، لأنّ مُشاهدين كثيرين يرغبون فيها، ولأنّ هذا النوع تحديداً يحتاج إليها كجزءٍ من البناء الدرامي للحكاية ومعالجتها الدرامية، وللمشهدية السينمائية أيضاً. لكنّ اللافت للانتباه كامنٌ في الأداء الباهت لجان رونو، المحنّك في تمثيل متنوّع الأشكال والتقنيات والجماليات الفنية، في أفلامٍ تصنع حضوراً ثابتاً له في المشهد الدولي، وتمنحه مساحات كثيرة للتمرين والتجديد، وللاختلاف أحياناً عن أدوارٍ سابقة. شخصية آنج ليونيتّي تجمع في ذاتها أخلاقيات مهنة وتورّط فاسد يؤدّي غالباً إلى مقتل أناسٍ كثيرين. تأديته الدور غير متوافقة وحِرفيتَه التجديدية، فحركاته ونظراته وملامحه وارتباكاته وسطوته وتحدّياته، مسائل تظهر عاديّة للغاية، مع لحظات عدّة تكشف تراجعاً في الاشتغال على الذات الفنية.

لجان رونو دورٌ يُقدِّمه في «مكافحة العصابات» (2015) لبنجامن روشي. اختلافه عن دوره في «برونكس» متمثّل بالجانب الفاسد في شخصية آنج ليونيتّي. مع روشي، يذهب سيرج بوران (رونو) إلى أبعد حدّ ممكن في أصالته الأخلاقية للمهنة، ما يجبره على دفع ثمن باهظٍ لقاء تمسّكه الأخلاقي بأصول الوظيفة. والاختلاف حاضرٌ أيضاً في الأداء، ففي «مكافحة العصابات» يمنح رونو شخصيته السينمائية سمات مُحترفٍ مُنصرفٍ إلى تحقيق العدالة بأي ثمن، مع ما يطرحه هذا من أسئلة أخلاقية أيضاً تؤثّر على شخصيته النفسية.

لائحة أفلام رونو مليئة بأعمال تتأرجح بين أنماطٍ مختلفة، بعضها تشويقيّ يحمل في نصّه تساؤلات واقعية عن المهنة والعلاقات والهوية والوجود والوظيفة والانفعال، وغيرها. في «برونكس»، يبدو مكتفياً بوظيفته التمثيلية، من دون اهتمامٍ بفعل الأداء وفنّ التمثيل. هذا حاصلٌ معه سابقاً، ومع آخرين أيضاً، فالمهنة لن تكون دائماً «سينيفيلية» فقط.

جان رونو: دورٌ عادي في «برونكس» يناقض حيوية سابقة (بابلو كوادرا/Getty)

المرأة ركيزة اشتغالات ياسميلا زبانيتش

«عايدة»: تشذيب باهر للأصل الحكائيّ

قيس قاسم

في اللقطة الأولى من «إلى أين تذهبين يا عايدة؟» (2020)، تظهر عائلة بوسنية صغيرة، تجتمع في شقّة متواضعة، تقع في أحد أحياء مدينة «سربنيتسا». الكاميرا تتحرّك ببطء. تلتقط صورة مقرّبة لوجوههم الأربعة. التبطيء التوليفيّ اللاحق يُقلّل، أكثر فأكثر، من سرعتها، فتبدو كأنّها صورة فوتوغرافية ثابتة، تدبّ الحياة فيها بفعل قوّة إيقاع أنغام آلة «تشيلّو»، تصاحب حركتها. يرتفع الإيقاع حتى وصول الكاميرا إلى وجه عايدة، مركّزة عدستها على عينيها المفتوحتين باندهاش. النظرة المذعورة تعلن خوفاً داخلياً من شرّ مقبل، تريد منع حدوثه. بعد هذه اللقطة مباشرة، هناك مشهد دبابات تدخل الأحياء القديمة للمدينة، مُعلنة عن اجتياح الجيش الصربي لها.

يُكثّف الانتقال بين لقطة الافتتاح والمشهد التالي لها أسلوب المخرجة ياسميلا زبانيتش (1974)، في الابتعاد مسافةً عن الحدث التراجيدي، مُفضّلةً عليه الذهاب أولاً إلى الأشخاص/ الضحايا، فهؤلاء يستحقّون سرد حكاياتهم، ومن مآسيهم يمكن العبور إلى مَشاهد الحروب، وعرض فظاعاتها.

يسهل قول الابتعاد مسافةً، ومعاينة الأحداث، والتجرّد من الشخصيّ في نقل القصص المروّعة إلى الشاشة، فالصعوبة كامنةٌ في التطبيق. المخرجة البوسنية خبيرة عملياً بجدوى المعاينة المتريّثة لتراجيديات حرب البلقان. يبدو أنّها لن تحيد عنها، حتّى في أكثر قصصها صعوبة، كقصّة المترجمة عايدة، التي يُزيد من تعقيدها أنّها حقيقية، إذْ إنّها منقولة بتصرّف عن القصّة الواقعية للمترجم البوسني هسن نوهانوفيتش. لذا، عليها مراقبة نصّها، وتشذيبه بحذر من التوثيق الذي فيه.

مُعسكر الوحدة الهولندية، التابعة للأمم المتحدة، حيث تعمل عايدة مُترجمة فورية، يغدو، صيف 1995، مصيدةً لآلاف البوسنيين الذين لقوا حتفهم على يديّ الجنرال الصربي راتكو ملاديش، على بعد أمتار منه (المعسكر)، تحت أنظار بعض جنود الوحدة. لا تغفر ياسميلا زبانيتش للقادة سلوكهم وجبنهم. تُعيد التذكير بتخاذلهم، وبكذب وعودهم بحماية المدنيين الهاربين من المذبحة، التي تلوح أمام عينيّ المترجمة، مُستحكمةً لا فرار منها. عليها إنقاذ عائلتها (زوجها وولداها الشابان) بما تملك من قوّة ونفوذ وظيفي. لا تُجمّل زبانيتش أنانية الأم، ولا تُفسّرها. تضعها أمام الكاميرا، وتتركها تتجسّد كفعل غريزي، ينشد احتماءً من دوائر موت تضيق على سكّان «سربرنيتسا».

نص «إلى أين تذهبين يا عايدة؟» (سيناريو زبانيتش) يدفع إلى مراقبة الحدث من فوق، أعلى من مستوى النظر. هناك، عن بُعد، ترى الحشود المُساقة إلى مصيرها تتّخذ شكل دائرة، تتراصّ الأجساد داخلها. التراص الجسدي فعلٌ غريزيّ، ينشد حماية الذات من التلاشي، ويدفع الضحايا، لحظة ضعفهم، إلى سدّ كلّ فراغٍ أو ثغرة بينهم.

قبل ذلك، في مجرى سير الأحداث، لا ينتبه الضحايا إلى دوائر الموت التي يرسمها الجنرالات، ويجرّونهم إليها من دون علمهم. جزءٌ كبيرٌ من اشتغال زبانيتش مُكرّس لرؤية تلك الدوائر المجرّدة، وكيف تقع المنظمة الأممية في بيروقراطيتها، وقلّة حيلتها إزاء القوي المتفوّق على استحكامها.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عايدة المُنهكة في حماية عائلتها: فظاعات الحروب (الملف الصحافي للفيلم)

> سرد حكايات أفراد يمكن العبور منها إلى الحرب وفظاعتها

أفلام جديدة

■ Apples فيلم يوناني لكريستوس نيكوو، تمثيل أريس سرفِتاليس وصوفيا جورغوفاسيلي (الصورة): تُصاب المدينة بوباء يؤدّي إلى فقدان أناسٍ عديدين ذاكرتهم، تماماً كما يحصل مع رجلٍ (الشخصية الرئيسية) يكتشف فَجأة أنّه لا يتذكّر شيئاً من ماضيه ومعارفه وأصدقائه وأقاربه، فيُرسل إلى مشفى لبدء رحلة علاجٍ جديدة، تمرّنه على عيش حياة أخرى، فيعرف أنّ كثيرين مثله يعانون فقدان ذاكراتهم أيضاً.

■ Adieu Les Cons فيلم فرنسي لألبير دوبونتال مخرجاً وممثلاً، مع فرجيني إيفيرا (الصورة) ونيكولا مارييه: عندما علمت أنّها مُصابة بمرضٍ خطر، تبدأ سوز تْرَابّي (43 عاماً) رحلة بحثٍ مُضنٍ عن ابنتها الذي أُجبرت على التخلّي عنه عندما كانت تبلغ 15 عاماً. رحلة مليئة بتفاصيل وحكايات ولقاءات، تساعدها كلّها على بلوغ ما ترغب فيه.

■ ADN لمايوِن (الصورة) إخراجاً وتمثيلاً، مع فاني آردان ولوي غاريل: مُطلَّقةٌ وأمٌّ لثلاثة أولاد، لا تتأخّر ناجْ عن زيارة جدّها الجزائريّ، المُقيم في منزل للمسنّين، فهي تحبّ كثيراً هذا «الركن» الأساسي من أركان العائلة، خصوصاً أنّه اهتمّ بها وربّاها وحماها من «عنف» والديها معها في صِغرها. العلاقات الكثيرة بين أفراد هذه العائلة الكبيرة مُعقّدة، وكثيرون فيها مستاؤون من آخرين لأسباب جمّة كفيلة بكشف خفايا عدّة.

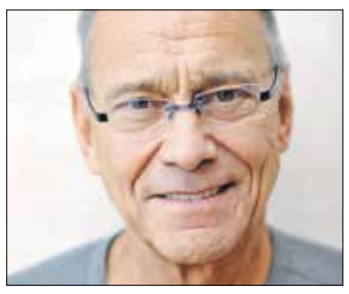

■ Michel-Ange لأندريه كونشالوفسكي (الصورة)، تمثيل ألبيرتو تِسْتوني وجاكوب ديل وفرنشيسكو غوديلّلو: يروي هذا الفيلم (إنتاج روسيّ إيطالي مشترك) سيرة ميشال آنج من خلال لحظات الكرب والنشوة التي تُصيبه وتُصيب عبقريته الفنية الإبداعية، في ظلّ تنافسٍ حادٍّ بين عائلتين نبيلتين كي تحصلَ كلّ واحدة منهما على ولائه لها، ما يزيد من حدّة الضغوط على فنانٍ مثله.

■ The War With Grandpa لتيم هيل، تمثيل روبرت دي نيرو وكريستوفر واكن وأوما ثورمن (الصورة) وجاين سايمور: تتناول هذه الكوميديا الدرامية الأميركية علاقة حفيد بجدّه المنتقل حديثاً للعيش معه في منزله العائلي، والذي تقلّ حماسته للقائه عندما يعلم أنّه مُجبرٌ على إخلاء غرفته التي سيُقيم فيها الجدّ، والانتقال إلى العلّية. لذا، قرّر الحفيد إعلان الحرب على هذا العجوز، بمساعدة أصدقائه.